مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:06 العدد: 02 (2022) ص227/218

النزوع التجريبي للشخصية في الرواية العربية الجزائرية المعاصرة؛
رواية فضل الليل على النهار، لـ: - ياسمينة خضرا أنموذجا -

Experimental propensity for personality in the contemporary Arab-Algerian novel
; The novel, the virtue of night over day, by Yasmina Khadra, as a model

بوعلي وليد*	راشدي حسان
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر	جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر
Waliddido715@gmail.com	Hassane.rachedi@ymail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2022/03/18
تاريخ القبول: 2022/05/07

الكلمات المفتاحية:
- ✓ النزوع
- ✓ التجريب
- ✓ الشخصية
- ✓ الرواية

الملخص:

تعد الرواية أكثر جنس أدبي قابل للخرق المستمر، لذا نجد الرواية الجزائرية انفتحت على أشكال متعددة من الأجناس الأدبية، مما جعلها تدخل في مرحلة الحداثة ومغامرة التجريب، مما يعنيه من تجاوز وانزياح وكسر القوالب الجاهزة والمكرسة في الخطاب السردي، فمسّ التجريب جميع العناصر الفنية المكونة للنص الروائي بما في ذلك الشخصية التي تلعب دورا مهما في تحريك أحداثه، حيث أخذت تمظهرات عدّة وقدمت في قوالب جديدة كما أخذت أبعادا مختلفة، ومن بين الروائيين الجزائريين الذين سعو إلى التجريب بحثا عن أشكال فنية جديدة بإمكانها معالجة اشكالات الراهن نجد الروائي "ياسمينة خضرا" الذي خصصنا دراستنا حول روايته "فضل الليل على النهار" مبرزين النزوع التجريبي للشخصية فيها.

Article info

Received 18/3/2022
Accepted 07/05/2022

Keywords:
- ✓ *propensity*
- ✓ *Experimentation*

Abstract :

The novel is the most persistent literary genre, so we find that the Algerian novel has opened up to multiple forms of literary genres, which made it enter the stage of modernity and the adventure of experimentation, which means transgression, deviation, and breaking the ready-made and enshrined templates in the narrative discourse, so experimentation touched all artistic elements. The composition of the novelist text, including the character who plays an important role in moving its events, as it took several manifestations and was presented in new molds and took on different dimensions. We devoted our study to Yasmina Khadra's novel "The Preferred Night Over Day," highlighting the experimental tendency of the character in it. Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary

* المؤلف المرسل

of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

✓ *Character*
✓ *Novel*

1. مقدمة:

الشخصية من أهم العناصر السردية التي يبنى عليها العمل السردي، فهي احدى التقنيات التي تقوم عليها الرواية، فلا رواية دون شخصيات تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها الحكائي. وعلى الرغم من خضوع الشخصيات تحت سلطة الكاتب والتحكم في طريقة تقديمها وبنائها داخل النص، إلاّ أن بعضها يستطيع التخلص والإفلات من سيطرته، لتتجه نحو طريق لم يسطره صاحب النص، فالشخصية لها أهمية ودور فعال داخل الحدث، حيث أنها تنتقل بمرونة تامة بين العناصر الأخر المكونة للنص الروائي، وأن ارتباطها بهذه العناصر يكون بشكل مؤقت، فهي تتحد مع الزمان والمكان والحدث ومع الشخصية نفسها، لتبدأ بعد ذلك في الانفصال تدريجيا؛ كونها عنصر مهم وفعال داخل الخطاب. كما تصبح وظيفة العناصر الأخرى في العمل السردي ومنها الرواية تخدم ظهور الشخصية، وقد تقوم هي بالبحث عنها داخل عناصر الرواية الأخرى، لتقوم بعد ذلك بالربط بين الأحداث. وقد يكون شكل ظهور الشخصية ملموسة وواضحة، كما قد تكون مضمرة بين العناصر الأخرى، ليتكفل القارئ بالكشف عنها وإبراز دورها داخل الحدث.

2. ماهية الشخصية والتجريب الرو ائي

1.2 ماهية الشخصية وتصنيفاتها:

تلعب الشخصية دورا أساسيا في بناء الرواية، إذ أنها مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث فالأفكار تحيا في الشخصية وتأخذ طريقها إلى المتلقي عبر أشخاص معينين لهم تقاليدهم ومفاهيمهم وآرائهم في مجتمع وزمن معين، فالشخصيات " مجرد أحجار شطرنج يستخدمها الكاتب في لعبته الفكرية الفنية تستطيع أن تتحرك أو تتنفس وفقا لرغباته والذي يرسم لها قانونها الأخلاقي بحيث يملي عليها التصرف ضمن مفهومه الخاص للخطأ والصواب".[1]

فالشخصية في السرد الروائي " ليست الشخصية الروائية وجودا واقعيا وإنما هي مفهوم تخييلي تدل على التعبيرات المستخدمة في الرواية، وهكذا تتجسد الشخصية الروائية حسب بارت – كائنات من ورق – لتتخذ شكلا دالا من خلال اللغة، وهي ليست أكثر من قضية لسانية حسب تودوروف".

إلى جانب ذلك نجد أن الشخصية تخلق المناجاة وتبلور الحدث بكل ما يحتويه، لذلك يمكننا تقسيم الشخصية في هذه الرواية حسب الأدوار إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، حتى يتنحى الروائي جانبا ليتيح للشخصية التعبير عن نفسها وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها، والتعليق عن أعمالها.[2]

وهذا ما نجده في رواية " فضل الليل على النهار" فهي تحوي شخصيات رئيسية عاشت الأحداث بكل تفاصيلها وأخرى ثانوية كانت عابرة في هذه المسيرة الحياتية.

حيث كان لفظ PERSONA وحده المستخدم يعني آنذاك القناع ارتبط بالمسرح اليوناني، وهذا يقترب من الاستعمال الفرنسي "personnalité" والإنجليزي "personality" ومن هنا تعددت المفاهيم للشخصية باعتبارها علامة لغوية حسب **بارت** قضية لسانية (نحوية) حسب تودوروف، لكن تبقى هي صبغة إنسانية تحمل في طياتها ملامح الإبداع ورغم محاولة المناهج النقدية تحليل الشخصية الروائية، وتقديم مفاهيم عدة لها، تبقى فجوات يصعب إدراكها، فدراستها تعتمد على تقنيات تفجر طاقاتها الجمالية ودلالتها المتباينة.[3]

وقد أسهمت الجهود النقدية في بلورة تقسيمات الشخصية حسب أنواعها وتصنيفاتها وتقاطعاتها، فظهرت شخصيات نامية تنمو وتتطور مع مسار الأحداث والشخصيات التي تمتاز بالسكونية والثبات على طول المسار السردي، وشخصيات رئيسية وأخرى ثانوية.

أما تصنيفات غريماس جعلت من الشخصيات عوامل تقوم بمجموعة من الأفعال فكانت مجرد شخصيات مشاركة، فهي الفاعل ضمن أدوار ست حسب الترسيمة:[4]

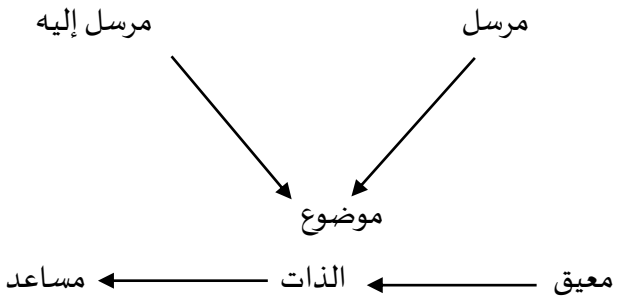

إن كل هذه التصنيفات للشخصية الروائية تحدد بناءها من خلال مسار سلسلة الأحداث فتبين حركتها وسكونها، ثباتها ونفيها، علاقاتها ببعضها البعض بعلاقات متشابكة تثبت وجودها في العمل السردي.

2.2 الشخصيات الحكائية:

لقد حاول كل من فلاديمير بروب على الخصوص وغريماس من خلال أبحاثهما تحديد هوية الشخصية في الحكي بشكل عام من خلال مجموع أفعالها، دون صرف النظر عن علاقاتها بينها وبين مجموع الشخصيات الأخرى التي يحتوي عليها النص.

ثم إن الشخصية في الرواية أو الحكي عامة، لا ينظر إليها من وجهة تحليل البنائي المعاصر إلا على أنها بمثابة دليل (signe) له وجهان أحدهما دال (sinifiant) والأخر مدلول.(signifie)

وهي تتميز عن الدليل اللغوي اللساني من حيث أنها ليست جاهزة سلفا، ولكنها تحول إلى دليل، فقط ساعة بنائها في النص.

ولهذا السبب سعى بعض الباحثين إلى طريقة خاصة في تحديد هوية الشخصية الحكائية التي تعتمد على محور القارئ لأنه هو الذي يكون بالتدريج صورة عنها ويكون ذلك بواسطة مصادر إخبارية ثلاثة وهي:

- ما يخبر به الراوي.
- ما تخبر به الشخصيات ذاتها.
- ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات.[5]

كما أن الشخصية مزيج من الواقع والوهم، هي وهم واقعي أو واقع وهمي بالإيهام تنشأ سمة الواقعية فيها وبمرجعيتها يتأسس طابعها الإيهامي، هي شبه إنسان أو هي صورة تخييلية ومنه ليست الشخصية إنسانا لأن حقيقتها نصية. حيث أن الراوي يخلق شخصياته من الواقع، ونجد كذلك أن الكتاب تختلف مواقفهم حول مفهوم الشخصية، فمفهوم الشخصية غير مستقر.

3.2 مفهوم التجريب الروائي:

لقد تعددت مفاهيم التجريب في الأدب عامة وفي الرواية خاصة كونها، فن في جملة تجريبي ولتعدد زوايا النظر إليه لهذا فإن: " وجود تحديد التجريب في مصطلح جامع مانع يعني نهاية التجريب".[6]

وعرفه صلاح فضل على أنه: "يتمثل في ابتكار طرائق و أساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع و حقيقته عندما يتجاوز المألوف و يغامر في قلب المستقبل" [7]، فالتجريب بهذه الماهية هو محاولة للتجاوز و التخطي الدائم يبحث عن أدوات جديدة يمكن الأديب و تزيد من قدراته على التعبير عن علاقة الإنسان بواقعه المتغير المستجد: " فالبحث هو الذي يغري الروائي بارتياد التجريب أفقا للكتابة الروائية بغية تحقيق المغايرة للسائد السردي، مما يكسب هذا النوع من الكتابة الخارقة للنموذج الروائي بعض العلامات الدالة على حداثتها".[8]

إن التجريب في الفن و الأدب يقصد به خلخلة السائد و المكرس من اجل فتح أفاق جديدة، و إثارة أسئلة جديدة و البحث عن صيغ و أشكال جديدة للخطاب و التواصل تخالفا لسائد من اتجاهات جمالية و أفكار جديدة و وعي جمالي جديد، هذا ما يدفعنا إلى طرح السؤال :ما علاقة الرواية كجنس أدبي بالتجريب؟

مما لا شك فيه أن الكثير من النقاد و الباحثين يؤكد أن مصطلح التجريب ارتبط بالرواية مع الرواية الطبيعية التي تأسست بعد الجهد النظري الذي قدمه "" إميل زولا "" من خلال اعتماده على المذهب العلمي كما اشرنا لذلك سابقا إذ تصبح الرواية مجالا للظواهر و مخبرا يجرب فيه الروائي فرضياته، كما ارتبط التجريب و تما هي مع التجديد الروائي في الغرب في تلك الأعمال الفنية التي تعتمد التجريب أساسا، والتي بدأت مع فقدان الكاتب الثقة لمؤسسات المجتمع التي فرضت هيمنتها على الإنسان الفرد، و تزامنا مع تشكيك الفكر الغربي في قدرة اللغة على تمثيل الواقع تمثيلا حقيقيا مما استدعى تغيرات جذرية في بنية الرواية و تقنياتها.

3. النزوع التجريبي للشخصية في رو اية " فضل الليل على النهار"

1.3 الشخصيات الرئيسية:

يونس(جوناس): من الشخصيات التي عاشت الأحداث بكل ما فيها، هو الابن الذي عاش في القرية ثم انتقل إلى المدينة تحت ظروف قاسية ليجد ما هو أسوأ منها في مدينة "وهران"، وقد كان شاهدا على كل هذه الأحداث بتفاصيلها الصغيرة والكبيرة، كان طفلا صغيرا ولكن كانت له أعين تبصر إلى أبعد حد، ترصد كل شيء، كان طفلا صغيرا يقتفي ظل أبيه ويحتمي بجناحيه يصارع الظروف ودوامة القدر للخروج إلى ما هو أفضل.

شخصية "يونس" هي تناص من النص القرآني، حيث تحيل المتلقي على قصة سيدنا يونس عليه السلام، وما عاشه من صراع على الحياة مع الحوت في عرض البحر، فقابله بصبر وتسبيح لله عز وجل وحبّ في العودة إليه، لذا قد استطاع الروائي أن يجسد وقائع حياة يونس عليه السلام، ويقدمها في شخصية البطل بقالب جديد من خلال روايته " فضل الليل على النهار"، كما عمد

الروائي إلى التجريب في شخصية "يونس"، الذي كان ينادى أيضا باسم " جوناس " على مستوى التشكيل اللغوي الدال على تعدد اللغات وامتزاج الثقافات داخل هذا النص الروائي.

عيسى: أب "يونس" و"زهرة" ورب عائلة صغيرة كان يعيش في القرية إنه فلاح مثابر ومجتهد في عمله ليعيل عائلته ويقدم لها ما تحتاج، كان يرفض يد المساعدة لأنه يعتبرها إهانة له وإنقاص من شأنه وقيمته، وبأنه رجل عاجز، كان يكابد المشاق والعوائق من أجل إسعاد عائلته. عرف بالأنفة والقوة والشجاعة والصبر والعصبية، رهن أرض أجداده من أجل أن يوفر القوت لأبنائه، فيصدم بحرق محصوله، ليجنّ بعد ذلك من شدة الغضب، فيأخذ عائلته ويتوجه بها نحو المدينة.

شخصية "عيسى" هي الأخرى تناص ديني، من النص القرآني وترمز لسيدنا عيسى عليه السلام، حيث كان حضورها محوري داخل النص الروائي، مانحا إياها القاص جملة من الصفات الأخلاقية والفيزيولوجية، التي يتصف بها كل عربي مسلم غيور على دينه وأهله وأمته.

هواري: طفل من "جنان جاتو" لا يعرف له أهل ولا منزل يصطاد العصافير ليبيعها ويجني بنقودها ما يحتاج، اتخذه يونس صديقا له دون أن يأخذ برأيه، فتعلم منه الصنعة، رافقه وعمل مثله، ولكن عيسى بعدما رأى النقود وظنّ أن هذه إهانة له من ابنه الذي يرى فيه الضعف والعجز، ولقد كان هواري من أصدقاء يونس الذي شارك في الثورة.

لعبت هذه الشخصية دورا مهما في تحريك أحداث الرواية، وكاسم (هواري) له خصوصيته وحضوره البارز بمناطق الغرب الجزائري بصفة عامة وبمنطقة وهران بصفة خاصة، استحضره الروائي من التراث والثقافة الجزائرية من باب التجريب.

جرمان: زوجة عمه (يونس) ليس لها أطفال جعلت منه ابنها حافظت عليه ورعته ووفرت له كل ما يريد رفقة عمه وكانت له الأم الحنون.[9]

أدرج الروائي هذه الشخصية باسم أجنبي، كون الشخصيات الغربية تكسب الرواية وعيا جديدا يضاف إلى وعي الكاتب ويكون بذلك قد كسر نمطية الشخصية الكلاسيكية، ويعد هذا مظهرا من مظاهر التجريب الروائي.

جان كريستوف: من أصدقاء يونس في مرسيليا، خجول، رافقه مدة حياته الشبابية ثم التقى به بعد 45 سنة ليودعه من جديد.

هي أيضا شخصية باسم أجنبي، حدد القاص مكانها وأصلها وعلاقتها بشخصية البطل (يونس)، طول مدة هذه العلاقة نلمسه من خلال تكثيف الأحداث من طرف الذات الساردة، كما يحيلنا على تلاقح الثقافات وامتزاجها وتقبل كل منهما للآخر، فهذا الانفتاح هو نوع من التجريب الذي لم تتناوله الرواية في السابق.

أندري: يعتبر كذلك من أصدقائه كان مجموعة واحدة مع "جان كريستوف" و"يونس" و"إزابيل"، كان هؤلاء يلتقون في مختلف الأماكن يتجولون مع بعض ويتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث.

توظيف الروائي لهذه الشخصيات بمسمياتها الأجنبية مكنت المتلقي من ملاحظة استعمال القاص لثنائية اللغة، التي أخذت بعدين في هذه الرواية: بعد واقعيا اجتماعي وبعد آخر يتمثل في الثقافة الفرنسية، هذه المغامرة في الكتابة أكسبت الرواية أسلوبا خاصا ومميزا.

إزابيل: هي حفيدة الجد "روسيليو" الثري، التي كانت تدرس معه في المدرسة أحبّها لمدة ولكن بعد أن علمت جنسيته تخلت عنه.

هذه الشخصية كانت تأخذ بالتوجهات الدينية والعرقية، رافضة كل ما هو دخيل عليها، وهي بذلك امتازت بصفة الرفعة والانغلاق والمعادات لكل ما هو مخالف لقانونها ونمط حياتها، مجسدة بذلك الشخصية المجازية المتمثلة في الرفض والكره داخل هذا الخطاب الروائي.

فابريساسكاماروني: كذلك هو من الأصدقاء الأربعة "ليونس" وكان صديقا مقربا "لإيميلي" انفصل عنها ورحل للعيش في وهران.[10] اختار السارد لهذه الشخصية خاصية الترحال التي توحي على توظيف السارد لأدب الرحلة، متمثلة في تغيير مكان ونمط العيش في إشارة منه إلى تأثره بشخصية يونس وبيئته في الوقت نفسه، فاختار لها الروائي المكان الذي يلائمها وتستطيع التحرك فيه بكل حرية (وهران)، إضافة إلى تقاطع المكان الجديد مع المكان الأول الذي كانت تعيش فيه من حيث متطلبات الحياة وما تقتضيه.

فيمكن القول بأن الروائي هرّب هذه الشخصية وربطها بالشخصية البطلة لتؤدي دورها الحقيقي واللازم داخل الخطاب، وهذا يعد مظهرا من مظاهر التجريب.

سيمون: صديق "يونس" وزوج "إيميلي" الذي توفي، لكن بقي حيّا في ذهن يونس بحكم الوفاء والصداقة التي جمعتهما بالرغم من اختلافهما في العقيدة والثقافة، كما حققت هذه الشخصية نفس التأثير على نفسية وذهن القارئ حتى بعد اختفائها وخروجها من النص (الموت) وهذا نوع من أنواع التجريب في الشخصية الروائية.

العم ماحي: هو دكتور له صيدلية بالمدينة رجل مثقف وذو حال ميسورة ليس له أطفال، زوجته تعيش في أمريكا حيث منزلهم، هو الأخ الأكبر "لعيسى" وهو عم "يونس" حاول مساعدة أخيه والتخفيف من معاناته ولكن دون جدوى. رغم ذلك بقي يحاول مساعدته حيث قام بكراء الحوش لهم بوهران في "جنان جاتو".

هذه الشخصية تعد من الأسماء المتداولة والشائعة في المجتمع الجزائري خاصة قديما، وهو اسم يرمز للتراث الجزائري، وبذلك يكون القاص قد وظف الموروث الشعبي من خلال هذه الشخصية.

إيميلي: الفتاة التي أحبها "يونس" التقى بها عندما سافر مع عمّه إلى أمريكا كانت طفلة مريضة تتلقى الحقن كل يوم من زوجة عمّه، تعرف عليها وكانت صديقته، أحبها ثم تخلى عنها بسبب الحرب وبعد 45 سنة عاد للبحث عنها بعدما علم أنّها توفيت ولكن لحسن الحظ هي لا تزال على قيد الحياة، وهي تعيش في مرسيليا في شارع 143، الإخوة جوليان، رفضت العودة إليه لأنّه جبان بالنسبة إليها حين تخلى عنها وذهب، وتركها وحيدة حزينة لفراقه، تحدثت معه بعدما وجدها وأخبرته أنه لا يمكنها العيش معه، وعند عودته إلى أرض الوطن سمع من أحد أصدقائه أنّها حقا ماتت.[11]

الظروف الصحية والعاطفية التي عاشتها هذه الشخصية تركت أثرا وبعدا إنساني في نفسية المتلقي (تعاطف)، كيف لا وهي الشخصية التي كانت ستمثل النصف الثاني للشخصية البطلة (يونس) لولا الظروف السياسية التي كانت حجر عثرة في اكتمال علاقتهما.

2.3 الشخصيات الثانوية:

هي الشخصيات العابرة التي مرت بحياة بطل هذه الرواية ولم يكن لها دور كبير أو تأثير بالغ في حياته وإنما كانت مجرد لقاءات أو معاملات بين هذه الأطراف قد التقت بها مرة أو مرتين ولا يعاود الاتصال بها مرة أخرى.

ومن بين هؤلاء الذين قد تعرف إليهم أو عاش لفترة وجيزة معهم.

الأخت زهرة: طفلة صغيرة هي أخت "يونس" تصغره سنا، كانت لا تفارق حضن أمها.

اختار لها الروائي هذا الاسم لأنه يتلاءم مع سن الطفولة وبراءتهم، ولما تحمله الزهرة من دلالات كالجمال والرائحة الطيبة، وهي رمز للتفاؤل والحب واستشراف بمستقبل أفضل، لذا أرادها الروائي أن تكون أخت لشخصية البطل (يونس)، وهذا ما عكسته أحداث الرواية.

بالإضافة إلى ذلك هناك شخصيات أخرى نذكر منها:

القايد: رجل أفخم الملابس، لحيته محلقة بعناية وصدر سترته مرصع بالميداليات إنه القايد، محاط بحرسيه الخاص. جاء إلى عيسى ليأخذ منه الأرض بعدما أحضر رجل فرنسي معه وأجبره على التوقيع ثم أخذ الأوراق وذهب وتركه يتخبط في نار غضبه.[12]

استحضر الروائي اسم هذه الشخصية من تاريخ وماضي الجزائر(الثورة)، وهي شخصية ترمز لخائن الوطن وأهله، وبالمقابل خادم للأخر ومصالحه الشخصية، فهذا ما جسدته أحداث روايته "فضل الليل على النهار" حيث حملت وقائع حقيقية وقعت في الماضي(الثورة) وما قامت به شخصية "القايد"، وجسدها الروائي في الحاضر من خلال خطابه الروائي، لذا قد أبدع "ياسمينة خضرا" في رسم هذه الشخصية وطريقة تقديمها.

التاجر: رجل من سكان القرية، قصير القامة، جاف البشرة، بعيني جرذ لاصقتين في عمق وجه مبرقش ببثور سوداء، قصده عيسى ليبيع عربته، وبغله ليستخدم النقود في تنقله نحو المدينة، لكنه احتفظ له بها، وأعطاه بعض النقود لأن عيسى كان يساعده دائما.[13]

برع الروائي في تصويره الفيزيولوجي لهذه الشخصية وما تحمله من صفات، لكن القاص أثناء توظيفه لهذه الشخصية كسر أفق توقع المتلقي من خلال معاملة "التاجر" مع إحدى الشخصيات المحورية (عيسى)، حيث لم يتحلى (التاجر) بصفة الجشع والانتهازية كما هو معروف في مجتمعنا حول خصال هذه الشخصية، وقدمها الروائي هذه المرة في قالب جديد تحمل الكثير من الصفات الأخلاقية النبيلة، فلم يستغل الوضع الذي كانت فيه شخصية (عيسى)، ورد إليه الجميل من خلال حفظ أمانته وإعانته بمبلغ من المال لقضاء حاجته.

ومن الشخصيات التي مرت بحياة "عيسى" وابنه "يونس" عند ذهابهما إلى وهران "بليس".

بليس: انه سمسار، رجل قصير القامة، من أصحاب آكلي الجيف كان يدرك جيدا أنهم تحت رحمته، لهذا حاول استغلالهم قدر المستطاع، تعرف إليهم عن طريق العم ماحي الذي أراد مساعدتهم في إيجاد منزل يأويهم.[14]

لم ترد هذه الشخصية باسمها الحقيقي، فاسم "بليس" هو تصغير لاسم إبليس، هذا الاسم يطلق على كل إنسان خبيث انتهازي، يظهر في صفة بشر، لكن نيته وأخلاقه لا تعكس ذلك، هذا الاسم معروف وتداوله التراث الثقافي الجزائري، لذا اختاره الراوي كشخصية تخدم وتقدم إضافة جديدة لأحداث الرواية.

صاحب المطعم: رجل من سكان "جنان جاتو" بوهران له مطعم ضخم البنية، طويل القامة، لقد اعتنى ب "يونس" الذي وجده أمام مطعمه ينتظر أباه الذي تركه وذهب مسرعا للبحث عنه آملا أن يعود في أقرب وقت، بقي صاحب المطعم إلى أن عاد "عيسى" حيث وبخه لتركه الصغير وحده وسط الأفاعي والذئاب البشرية.

استطاعت هذه الشخصية أن تؤدي وظيفتها داخل العمل الروائي، حيث تجنب السارد أن يخص هذه الشخصية باسم طبيعي، واكتفى بالرمز إليها من خلال نشاطها العملي، ويعتبر هذا من باب التجريب.

ومن الشخصيات الثانوية نجد كذلك سكان "الحوش" ب "جنان جاتو" وهم جمع من النساء اللواتي غدر بهن القدر وقست عليهن الحياة.

هناك بدرة: التي تموت في قص الحكايات الفاحشة، ذات الخمسة أطفال ومراهقين صعبي المراس.

القص والحكايات هي من الموروث الشعبي الذي لم يتخلى عنه المجتمع الجزائري، والذي يروى عادة في الحلقات، حيث أشار إليه الروائي في نصه من خلال شخصية "بدرة" التي أنهكتها ظروف الحياة، من خلال تربيتها لأولادها الخمسة.

وهناك بتول: امرأة نحيفة وخمرية مثل حبة القرنفل، لها زوج بعمر جدها، وهي تعمل مشعوذة وتدعي أنها لها قدرات خارقة، يقدمن لها النساء أيديهن لتحفظ بها ب ...ثم تقول لهن ما سيحدث معهم في المستقبل.[15]

هو اسم يوحي على الثقافة الجزائرية، أنسب إليها الروائي صفة الشعوذة التي كانت سائدة آنذاك بسبب الجهل وضعف التعليم، خلال فترة زمنية من ماضي المجتمع الجزائري.

أمايزة: سمينة شقراء، لها زوج سكير يضربها كل ليلة بحجة أنها لا تنجب الأطفال.[16]

صور لنا الروائي ظاهرة قمع المرأة، والصورة النمطية التي كان يحملها الرجل للمرأة على أنها آلة للإنجاب وخادمة له فقط، وهي صورة أيضا للصراع القائم بين الذكورة والأنوثة ومحاولة الأول بسط سيطرته ونفوذه، فهو موضوع جديد تناوله هذا الخطاب الروائي بأسلوب وقالب حداثي.

الحلاق: تعتبر كل الشخصيات التي صادفها عيسى في حياته كان يقطن بالجوار وهو رجل بسيط يجني قوت يومه من عمله هذا أحيانا يأخذ المقابل وأحيانا أخرى يترك بيدين فارغتين مثل ما فعله الشيخ جابري يحلق كعادته ولكنه لا يدفع النقود، وهذا ما جعل الحلاق يغضب ويواسي نفسه بمقاطع من الكلمات الغنائية عن "الحب".[17]

خص الروائي هذه الشخصية بصفة "الحلاق"، المقصودة من الجميع في مجتمعنا منذ الماضي وهي رمز للبساطة.

هذا كان فيما يخص الشخصيات التي قابلها في كل من "القرية" ومدينة "وهران" وكل هذه الشخصيات كانت تعبر عن أوضاع مزرية وعن حياة خالية من السعادة والفرح عن حياة مليئة بالأوجاع والآلام، وهذا كان من فعل الظروف القاسية والمعيشة الضنكة.[18]

ولكن بعد انتقاله من مدينة وهران "جنان جاتو" إلى مدينة أوروبية "مارسيليا" كان الأمر مختلف، لقد التقى بشخصيات مثقفة تتحدث اللغة الأجنبية (فرنسية) لهم طريقة عيش خاصة بهم وهناك كان بيت عمه، التقى بزوجة عمه تدعى "جرمان".

ومن سكان ذلك "الحوش" أو "الكوخ" إن صح التعبير، هناك أيضا:

ماما: غارقة إلى الرقبة وسط عش من الأطفال الهائجين، تقوم بشغل عشر خدمات مستعدة لتقديم أي تنازل لتمنع سقفها من السقوط على رأسها.

هناك اغتراب في اللغة والثقافة والمكان من خلال أحداث الرواية، انعكست كلها على شخصية "ماما" مما تركتهم يعيشون في حيرة وتيه.

ألمورو: هو الرعب في أبشع أشكاله، سجين سابق نجا من سبع عشرة سنة من الأعمال الشاقة، كان طويل القامة، شبه عملاق، حينما يعلن حضوره في مكان ما تتوقف الأصوات فجأة وينسحب الناس خلسة مطأطئ الرؤوس.

هو اسم يدل على شخصية أجنبية متشبعة بثقافة أخرى غير ثقافتنا، وظفها الروائي بلغة الآخر لتعرية واقع الحياة هناك، فاستعمال الروائي لثنائية اللغة من خلال الشخصيات لم يكن اعتباطيا، وإنما هو نوع من التجريب وكسر لنمطية تقديم وعرض الشخصية في الرواية الكلاسيكية.

الحانوتي "ساق الحطب": رجل له ساق من الحطب فقدها في الحرب هو بطل في الحرب التي كانت في الريف المغربية خاضها ضد المتمرد البربري "عبد الكريم" كان الأطفال ملتفين حوله يستمعون إلى ما يرويه عن بطولاته الأسطورية.[19]

جسد الروائي هذه الشخصية من خلال وصفها الفيزيولوجي، ممثلة في "ساق الحطب" التي حلت محل الساق الحقيقي، الذي فقده ذات يوم في حرب، وقدمت هذه الشخصية من خلال تاريخها وماضيها حين كان الأطفال يلتفون حوله ليستمعوا إلى قصصه الأسطورية التي عاشها.

4. خاتمة:

من خلال دراستنا للنزوع التجريبي في شخصيات رواية " فضل الليل على النهار" اتضح لنا أن الرواية ضمت شخصيات نامية ومتطورة كشخصية "يونس، الأب عيسى، العم ماحي، هواري، ايميلي جون كريستوف..." حيث استمر وجودهم على طول مسار أحداث الرواية، مقدما إياها الروائي في قالب جديد و بأسماء وصفات مختلفة وفق ما تقتضيه أحداث الرواية وما يتماشى مع مغامرة التجريب، تنوعت فيها الشخصية بين الدينية والتاريخية، العربية و الأجنبية ... في حين أنها اشتملت أيضا على شخصيات ثابتة تمتاز بالسكونية حيث لاحظنا أن الراوي من خلال سرده لأحداث الرواية تعرض لذكر هذا النوع من الشخصيات مرة واحدة فقط وذلك خلال سرد أحداث الرواية من البداية إلى النهاية ولهذا تعتبر شخصيات غير نامية، كشخصية الأخت زهرة، الحانوتي، بدرة، الحلاق، حدة، ألمورو،...الخ، إلا أنّ حضورها كان متنوعا من حيث الدلالة و الأبعاد وكذا التشكيل اللغوي مما أضفى عليها سمة التجريب وكسر نمطية الشخصية في الرواية الكلاسيكية.

فكانت لشخصيات هذا الخطاب الروائي أو السردي مصداقية واضحة من خلال توافقها مع بعضها، ومع سلسلة الأحداث الجمالية في إطار بنائي يكشف عن علاقة الشخصيات بواقعها بزمانها وبمكانها، والكشف عن عاداتها وتطلعاتها.

الهوامش والإحالات:

[1]- حسام الخطيب، الرواية السورية في مرحلة النهوض(1959-1967)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1975، ص68.

[2]-نضال صالح، النزوع الأسطورية في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، د/ط، 2001 ص173.

[3]- السيد محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، د/ط، د/س، ص45.

[4]-سعيد بن كرد، سيميولوجية الشخصيات السردية، دار مجد لاوي، عمان، ط1، 2013، ص91.

[5] -ينظر: سعيد بن كراد، المرجع السابق، ص51-52.

[6] - بن جمعة بشوشة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 1999، ط1، ص262.

[7] - صلاح فضل: لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والانتاج الاعلامي، م ج25 ش واد النيل، المهندسين، القاهرة، ط1، 2005، ص03.

[8]- بن جمع بشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، ط1، 2005، ص07.

[9] - ياسمينة خضرا، فضل الليل على النهار، تر: محمد ساري، وزارة الثقافة، الجزائر، ص62.

[10]-ينظر: سعيد بن كراد، المرجع السابق، ص 163-170.

[11] -ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص87-88.

[12] -ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص11.

[13]-المصدر نفسه، ص12-13.

[14] -المصدر نفسه، ص 19.

[15] -ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص 24.

[16]-المصدر نفسه، ص 24.

[17]-المصدر نفسه، ص25.

[18]-المصدر نفسه، ص 34-35.

[19]-ياسمينة خضرا، المصدر السابق، ص 25-26.

5. قائمة المراجع:

أولا: المصادر

- خضرا ياسمينة، فضل الليل على النهار، تر: محمد ساري، وزارة الثقافة، الجزائر.

ثانيا: المراجع

- الخطيب حسام، الرواية السورية في مرحلة النهوض(1959-1967)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1975.

- بشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1999.

- بشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، ط1، 2005.

- بن كرد سعيد، سيميولوجية الشخصيات السردية، دار مجد لاوي، عمان، ط1، 2013.

- صالح نضال، التروع الأسطورية في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، د/ط، 2001.

- فضل صلاح، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والانتاج الاعلامي، م ج25 ش واد النيل، المهندسين، القاهرة، ط1، 2005.

- محمد غنيم السيد، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، د/ط، د/س.